بقلم الشيخ
عبيد بن سالم العمري
عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة
وإمام وخطيب جامع الليقات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الزلل، ساتر الخلل ، مقدر الأجل ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، المتصف بالكمال في الأزل ، ولم يزل ، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله ، هو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين ٠

فنحن في زمن أشتغل فيه كثير من الناس بالماديات وركنوا إلى الشهوات ، ولعل من أهم الأسباب التي أوقعتهم في ذلك الغفلة عن الدافع الذاتي للفعل والترك عند الإنسان ، ألا وهو القلب ٠

ومن العجائب أن ترى الكثير منا يحسن التعامل مع كثير من المعطيات والنعم ، ويعلن إفلاسه في تعامله مع قلبه ، ويفشل فشلا ذريعا في إحداث تغيير فيه ٠

والمتأمل لحياة العظماء يجد أن من أكبر أسرار التميز والإبداع والتفوق هو الاهتمام بالأمور الباطنة ، والنجاح في التعامل مع الأفئدة ، والإنطلاق نحو التغيير القلبي الذي هو منطلق أساس ، ومؤثر بالغ الأثر في طريق النجاح ٠

وسر معاناة الكثيرين في الحقيقة ،

هو الغفلة عن القلب ، وغياب أطباء القلوب عن الساحة ، مما حدا بالبعض إلى التلقي من مصادر غير سليمة ، وهذه الرسالة كانت في الأصل محاضرة ، ثم جرى عليها بعض التعديل ، وقد حرصت فيها على الأدلة المعتمدة وكلام الأئمة الراسخين ، والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة ، وما هو إلا جهد متواضع من رجل قليل البضاعة ، يخرج ليلامس يديك ، وتزف عرائسه إليك ، ولن تعدم منك شهما كريما ناصحا يمسك بمعروف أو يسرح بإحسان ، والمؤمن مرآة أخيه ، ورحم الله من أهدى إلي عيوبي ، والله نسأل أن يجعها خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به وإخواني المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،،،

أخوكم

د . عبيد بن سالم العمري

طيبة الطيبة

٢٠ / ٨ / ١٤٢٩هـ

القلب بين أهمية المكان والمكانة

القلب عليه مدار الحياة ، وهو موطن الإيمان ، ومأوى المعتقد ، وليس الإنسان جسما بعضه القلب ، ولكن في الحقيقة قلب بعضه الجسم ، ولن تجد أعجب ، ولا أروع ، ولا أجمل من قلب تصلح أوتاره ، وتشرق أنواره.

والقلب في الواقع حقيقة الإنسان ، وأشرف ما فيه ، ولذا جاءت نصوص الشريعة في بيان أهميته وخطورة العناية به قال تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) متفق عليه.

قال أبو هريرة رض الله عنه : القلب ملك،والأعضاء جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث خبثت جنوده ٠

قال ابن القيم : الاهتمام بتصحيح بالقلب وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به المتنسكون ٠

وقال شيخ الإسلام : الأعمال القلبية واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين ، وأصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة

من العلوم والأعمال ، وإن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها ، وهذه الأعمال الباطنة كلها مأمور بها في حق العامة والخاصة ، لا يكون تركها محمودا في حال أحد ، وإن ارتقى مقامه ، فهي كلها خير محض وحسنة محبوبة في حق كل أحد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وصلاح الظاهر متعلق بصلاح الباطن فكلما ترقى القلب في مراتب الصلاح تبعته الجوارح ولذا كان أعظم الأمة صلاحا في قلبه وقالبه هو النبي صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه من بعده

قال الحسن البصري : والله ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا بصوم ، ولكن بشئ وقر في قلبه وصدقه العمل .

ومن ثم كانت عناية السلف الصالح بالقلب عناية كبرى قال ابن رجب : لم يكن تطوع النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه بكثرة الصوم والصلاة ، بل ببر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله ، خشية له ومحبة وإجلالا وتعظيما ورغبة فيما عنده وزهدا فيما يفنى .

قال الحسن البصري : ما نظرت ببصري ، ولا نطقت بلساني ، ولا بطشت بيدي ، ولا نهضت على قدمي ، حتى انظر على طاعة ، أو على معصية ، فإن كانت طاعة تقدمت ، وإن كانت معصية تأخرت.

وقال محمد بن الفضيل البلخي : ما خطوت منذ أربعين سنة خطوة لغير الله ٠

وقيل لداود الطائي : لو تنحيت من الظل إلى الشمس فقال هذه خطى لا أدري كيف تكتب ؟

قال ابن رجب : فهولاء القوم لما صلحت قلوبهم فلم يبق فيها إرادة لغير الله عز وجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك لغير الله وبما فيه رضاه ٠

قال ابن القيم : القلب هو المطيع لله وإنما المنتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي لله وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، ولذا أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح فإنك ترى الرجلين في الصف وصورة العمل واحدة ، وما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض بحسب ما قام في قلبيهما من خشوع وتفكر ٠

وهذا لا يعني أبدا أن أعمال الجوارح لا أهمية لها ، بل هي أركان الإسلام ودليل الإيمان وسلم الإحسان ، وهي العلامة الظاهرة على حسن إسلام المرء ، وجزء لا يتجزأ من الإيمان ؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد وقول وعمل ٠

ومن القضايا التي تجدر الإشارة إليها أن أعمال القلوب أشق من أعمال الجوارح ، والأجر على قدر المشقة ·

قال سفيان الثوري : ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي ، فإنها تتقلب علي ·

وقيل لأحد الصالحين : أي شئ أشد على النفس ؟ فقال الإخلاص ؛ لأنه ليس له فيها نصيب ·

قال أيوب السختياني : تخليص النيات أشد على العمال من جميع الأعمال ·

ومما يؤكد ما ذكرناه أن الإنسان يحصل بقلبه مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين ففي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) متفق عليه ·

فهو مبني على المراقبة والمراقبة عبادة قلبية محضة ومن العجيب أن الأعمال القلبية تنفع في بعض الأحايين بمفردها بعكس اعمال الجوارح فإنها لا تنفع أبدا بدون عمل القلب، ومما يدل على ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه) رواه مسلم ·

وفي انكار المنكر إذا عجز الإنسان عن الإنكار

بيده ولسانه كفاه الإنكار **بقلبه** وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ، كما في صحيح مسلم ٠

فيارعاك مولاك : إذا كان الأمر كما ذكر وهو كما ذكر فالواجب على كل عاقل لبيب أن يراعي حال **قلبه** ويوجه عنايته إلى إصلاحه ويبادر إلى معرفة طب **القلوب** ومن ذلك معرفة أنواع **القلوب** ٠

قال ابن رجب : نص كثير من الأئمة أن الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ٠

قال يحى بن معاذ : كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم ، هذا استغفر و**قلبه** فاجر وهذا سكت وقبه ذاكر ٠

وقال بعض السلف : ليس الشأن فيمن يقوم الليل إنما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب ٠ من سار على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهاجه وإن اقتصد ، فإنه يسبق من سار على غير طريقه وإن اجتهد ٠

من لي بمثل سيرك المذلل تمشي رويدا وتجئ في الأول

أقسام القلوب :

للقلوب ثلاثة أقسام من أهم الأمور معرفتها وإليكها أيها المبارك ٠

القسم الأول : القلب السليم وهو أشرفها وخيرها ، وهو الذي لا نجاة إلا به كما قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم)

قال ابن القيم : هو الذي سلم من كل شبة تخالف خبره ومن كل شهوة تعارض أمره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله صلى الله عليه وسلم فأخلص عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وخشية ورجاء ، وخلص عمله لله ، فإن أحب أحب لله ، وإن أبغض أبغض لله ، وإن أعطى أعطى لله ، وإن منع منع لله ، ثم أسلم قياده للشرع الحنيف ، حكما وتحكيما ، فلا يفتر عن ذكره ، ولا يسأم من خدمته ٠

وهو بهذا يحصل سعادته التامة ، فلا نعيم للقلب ولا سرور إلا في رضا ربه ومولاه ، فذكره قوته ومحبته غذاؤه والشوق إليه

حياته والرجوع إليه دواؤه ٠

قال ابن القيم : في القلب فاقة لا يسدها شيئ سوى الله ، وفيه شعث لا يلمه إلا الإقبال عليه ، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له ٠

علامة القلب السليم :

للقلب السليم علامات ولحياته دلالات ومن أهمها :

١/ ينتفع بالتذكير ، فالقلوب الصادئة كمثل صفوان عليه تراب أصابه وابل فتركه صلدا لا ينتفع بموعظة ولا يتأثر من آية ولا يتحرك من حديث قال تعالى (لينذر من كان حيا) أي بقلبه حياة ٠ولذا جاء وصف القران لأصحاب القلوب الشفافة (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وإنما انتفعوا بالوحي لأنهم أعظم الناس إيمانا به كما قال تعالى (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)

٢/ أنه يشتاق للعبادة ويحن إليها بينما أهل القسوة يضيقون بها ذرعا كما قال تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) أما هم فحالهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (ورجل قلبه معلق بالمساجد) متفق عليه٠

٣/ سروره في الصلاة والسر في ذلك ؛ لأن حقيقة الصلاة صلة القلب بالرب ، ولا أحب لهذا القلب من الله ، فوقت اتصاله بمحبوبه ألذ أوقاته وأسعدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة) أخرجه أحمد وعنده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (أرحنا بها يا بلال) وكان إذا أهمه صلى الله عليه وسلم أمر فزع إلى الصلاة) أخرجه أبو داود .

٤/ التفكر المقرون بالتذكر ، فالكون كتاب منظور يقرأ سليم القلب في كل سطر من سطوره وحرف من حروفه عظمة الخالق وحكمته وقدرته ورحمته قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي اللباب) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

القسم الثاني: القلب المريض :

فهذا القلب له حياة ، وبه علة ، وفيه من الإيمان بالله ومحبته والإخلاص له والتوكل عليه ، ولكن فيه من حبه للشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو

والرياسة ، فهو ممتحن بين داعيين داع يدعوه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة ، وداع يدعوه إلى الدار العاجلة ، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا ، وأدناهما جوارا ٠

في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم (تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين ، قلب أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربد كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) ٠

القسم الثالث القلب الميت :

الذي لا حياة فيه ، إذ هو يسير مع شهواته وملذاته ، بل هو واقف معها ، ولو كان فيها سخط الله وغضبه ، فهو متعبد لغير ربه حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه ، فهو في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى

وحب العاجلة مخمور ، الدنيا تسخطه وترضيه ، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه ، فهو للدنيا كما قيل في ليلى :

عدو لمن عادت وسلم لأهلها ومن قربته ليلى أحب وأقربا

علامة فارقة في طب القلوب :

وههنا علامة فارقة وحد فاصل بين هذه الأقسام لمن تدبره يشير إليه ابن القيم فيقول :

كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الدار الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها ، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها .

الدواء لهذه الأدواء :

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا من وجد من قلبه قسوة ولمس به مرضا فهل من دواء لهذا الداء الدوي المستحكم القوي؟

والجواب عند أطباء القلوب الحقيقين بالتأكيد نعم ، ومن أهم ما يذكر في ذلك :

١/ السر الأكبر في صلاح القلوب :

إن أعظم ما يؤثر في القلب ويصلحه ويسدده الاتصال القوي بالله عز وجل عقيدة وعملاً، قال تعالى(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فلهم أطيب الحياتين ٠

وقال جل وعلا: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة٠

وقال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) قال ابن القيم: الأبرار في نعيم ، وإن اشتد بهم العيش وضاقت عليهم الدنيا ، والفجار في جحيم ، وإن اتسعت عليهم الدنيا، وهذا يكمل في الآخرة يصلونها يوم الدين.

وقال فأطيب مافي الدنيا معرفته ومحبته، وألذ مافي الجنة رؤيته ومشاهدته ، فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها، فليست الحياة الطيبة إلا بالله ، بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك.

أيها الإخوة من القراء الأعزاء :

إنها جنة حقيقية وهي في الدنيا ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، يجدها المؤمن في

حال يسرة وعسره ومزحه وحزنه وغناه وفقره وصحته ومرضه ومنشطه ومكرهه.

قال ابن القيم: فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة، قيل لبلال كيف تحملت العذاب، فقال اجتمعت حلاوة الإيمان مع مرارة العذاب فغلبت حلاوة الإيمان.

وقال إبراهيم بن أدهم : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف.

وكان شيخ الإسلام يقول : إنها لتمر بالقلب لحظات ما لا أقدر أن أصفه ، فأقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي نعيم مقيم.

٢/ ذكر الله تعالى :

فهو الدواء الناجع والعقار النافع في علاج أمراض القلوب ، والذِّكرُ سلاحُ المؤمن ، الذي منه زاده ، وفيه تجارته ، وإليه مرده ، وهو مفتاح الخيرات، ومستدفع الآفات ، وكاشف الكربات، ومهون الصعوبات ، من أُعطيه اتصل ومن مُنعه عُزِل ، وهو قوت

القلوب ، الذي متى فارقها صارت الأجسادُ لها قبورا ، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً ، يدعُ القلبَ الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويُوصلُ الذاكِرَ إلى المذكور بل يدعُ الذاكرَ مذكوراً ، غراسُ الجنَّة ورياض المِنَّة ، جلاء القلوب وضياؤها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ·

به يزول الوقرُ عن الأسماع ، والبكمُ عن الألسن ، وتنقشعُ الظُلَمُ عن الأبصار ، زيَّنَ اللهُ به ألسنة الذاكرين ، كما زيَّنَ بالنور أبصار الناظرين ، من لازمه كما ينبغي نسي في جنب الله كلَّ شئ ، وحفظ اللهُ عليه كلَّ شئ ،كان له عِوضاً من كل شئ.

وهو خير ما أمضيت فيه الأوقات ، وصُرِفت فيه الأنفاس واللحظات، وأفضل ما تقرَّبَ به العبد إلى ربه.

ولأهمية الذِّكر وعظيم فائدته جاءت كثيرٌ من النصوص الشرعية آمرةً به حاثة عليه مرغبةً فيه ، مثنيةً على أهله ، ناهيةً عن ضده.

يقول ابن القيم: هو بابُ الله الأعظم المفتوحُ بينه وبين عبده ، مالم يغلقه بغفلته.

ومن ذلك أنَّ القرآن قد علَّقَ عليه الفلاح والفوز بالإكثار منه كما قال تعالى (واذكروا الله

كثيرا لعلكم تفلحون)

وقلة الذِّكر علامة الخسران (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون).

والذِّكرُ من أسباب المغفرة والنجاة (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)

عند أحمد (ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى)

ويكفينا أن نعلمَ أنَّ الله جعلَ الذِّكرَ أكبرَ من كل شئ، قال تعالى (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

١-قيل هو أفضل الطاعات؛ لأنه المقصودُ من الطاعات كلها إقامةُ ذكر الله فهو إذاً سِرُّ الطاعات وروحُها.

٢-وقيل بل هو أكبرُ من أن تبقى معه خطيئةٌ أو سيئةٌ ، فهو يمحوها ويكفرها .

٣/ وقال شيخ الإسلام: في الصلاة فائدتين:

أ/ نهيها عن الفحشاء والمنكر.

ب/ اشتمالها على الذكر ، وتضمنها للذكر ، وما تضمنته من ذكر الله أعظم من

نهيها عن الفحشاء والمنكر.

معاشر القراء الكرام :

ويكفي الذكر شرفا أن الله قد جازى عباده عن ذكرهم بذكره ؛ فقال (فاذكروني أذكركم) وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) وفي لفظ (أكبر)

وعند البيهقي أنَّ الله تعالى يقول (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) وهو حسن مقارب .

فقل لي بربك يا أخي ، هل بعد هذا الشرف شرف؟ أن يذكركَ مَنْ ؟ إنه اللهُ ، أتدري من هو اللهُ، إنه رب العالمين أخي، اتخذ الله صاحباً ، ودع الناس جانباً.

والذاكرون هم أهل السبق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمرَّ على جبل يقال له جُمْدَان فقال (سيروا هذا جمدان سبق المُفَرِّدُون). قالوا وما المفردون يا رسول الله قال (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات).

فمن منَّا تقعُ هذه الكليمات في أذنه فتؤثر في سلوكه حتى يصبح منهم؟

ولقد وردَ في الذكر حديث صحيح وهو من أعظم أحاديث الفضائل وآكدها وهو عند الترمذي وغيره عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تقتلوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يارسول الله، قال (ذكرُ الله).

يا إخوتاه:

أيُّ خيرٍ في غير ذكر الله الدنيا بأسرها لا خيرَ فيها إذا خلت من ذكرِ الله ، وأجدبت من الذاكرين والذاكرات.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم (أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً) أخرجه الترمذي وابن ماجة .

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فيا من أحبَّ أن يسابقَ إلى الله ، ما سابقَ المتسابقون ، ولا تنافس المتنافسون ، ولا اتجرَ المتجرون ، ولا تزوَّدَ المتزودون بأعظمَ من ذكر الله،

ففي الحديث: (أحبُّ الأعمال إلى الله –وفي لفظ خير العمل- أن تفارق الدنيا ولسانُكَ رطب من ذكر الله) حسنه الألباني ·

ما أجمل مرأى ومنظر المكثرين من الذكر ، شفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة، وأجسام ناحلة، وخواطر في عظمته صائلة.

فمن أراد لنفسه المسرَّة في الآخرة فليملأ صحيفته من ذكر الله ، فإنَّ أهل الغفلات في الدنيا يتحسرون في الآخرة على ما فرطوا في جنب الله ، ويتحسرون يوم القيامة على كل ساعة مضت ، وكل لحظة انقضت لم يذكروا الله فيها .

فقولوا للمعرضين والمتشاغلين ويحكم متى تفيقون ؟ ومن سباتكم تهبون؟!!!!!!

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان ذلك المجلس عليهم حسرةً يوم القيامة) أخرجه أبو داود ·

فيا معشر الإخوة والأخوات :

كم من مجلس فرحنا به في الدنيا سنبكي منه في الآخرة ؟ فوا أسفاه على مجالس ملئت

بكل شئ إلا بذكر الله.

أيها الأخيار:

متى نعود إلى سالف العهد فيأخذ الواحد منَّا بيد أحد إخوانه فيقول له كما كان معاذ يقول تعال بنا نؤمن ساعة فيجلسان يذكران الله.

فما أطيبه من مجلس وما أبركه من مقعد ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) أخرجه الترمذي وابن ماجة .

نعم ، جلسا في زاوية وتنحيا في ناحية لم يشعر بهم أهل الأرض ، ولكن علم به أهل السماء، يذكرهم الله في ملئه الأعلى وتستبشر بهم الملائكة، ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كُتَّاب الناس يطوفون في الطرق فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم مايقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول (هل رأوني) فيقولون لا، والله ما رأوك. فيقول (كيف لو رأوني) فيقولون لو رأوك كانوا أشدَّ

لك عبادة وأشدَّ تمجيداً وأكثَر تسبيحاً. فيقول :(فما يسألوني) فيقولون يسألونك الجنة. فيقول (وهل رأوها) فيقولون لا. فيقول (فكيف لو أنهم رأوها) فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصا وأشدَّ لها طلبا وأعظم فيها رغبةً. قال (فمِمَّ يتعوذون) فيقولون من النار. فيقول اللهُ (هل رأوها) فيقولون لا والله يا رب ما رأوها. فيقول (فكيف لو رأوها) فيقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة. فيقول (فأشهدكم أني قد غفرت لهم) فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول (هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم).

عَدَّ ابن القيم أيها الإخوة للذِّكر أكثَر من سبعين فائدة في شتى المجالات.

ونعود إلى مدار حديثنا ألا وهو القلب فالذكر يحييه ويغذيه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (مَثَل الذي يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت) متفق عليه .

فالقلب بالذكر يحيىَ ويقوى ويشفى ، كما يقول الله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)

قال ابن القيم : ما أنزل الله من السماء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من

القرآن .

يقول شيخ الإسلام: الذكرُ للقلب مثلُ الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

وقال تعالى (لينذر من كان حيا) أي بقلبه .

وقال تعالى مبينا أثر الذكر على القلب (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

فنعيم القلب وسروره وفرحه وانشراحه بذكر الله ، فالذكر لذَّةُ الأرواح وبهجة القلوب وقرة العيون ، إنه الجنة الحقيقية فيا طوبى لمن دخلها ، به يطيبُ العيشُ ، وينعمُ البال ، وينشرح الصدر ، ويُسرُّ القلب ، وقد سبق أن ذكرنا مثالين على ذلك:

قال إبراهيم بن أدهم: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه ، ولو بالسيوف .

وقال شيخ الإسلام: إنها لتمر بالقلب لحظاتٌ ما لا أقدر أن أصفه فأقولُ إن كان أهلُ الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي نعيم مقيم.

فإذاً قويَ القلبُ بذكر الله ضعُفَ كيدُ الشيطان الذي صوب سهامه في قلب ابن آدم، فهو الوسواس الخناس ، فالإنسان الذاكرُ محفوظ منه،

فإذا ما وجد منه فرصةً ، وأصابَ منه غفلة ، فما هي إلا برهة حتى يستعيد يقظته وانتباهه كما قال تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

إن العبد بذكره لله يتحصن بحصن حصين وحرز مكـــــين (وإما ينزغنك نم الشيطان نزغ فاستعذ بالله)

يقول ابن القيم: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه عن ذكر الله.

أما العبدُ الغافلُ فلا تسل ، فإن الشيطان يتلاعب به كما يتلاعبُ الصبيان بالكرة ، قد فرح به أيما فرح قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين)

والقلوب مملوءة ظلمة ، والذكرُ جلاؤها ونورُها وضياؤها. (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقسوة القلب داءٌ دواؤه ذكرُ الله.

ذُكر أنه جاء رجل إلى الحسن وقال يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بذكر الله.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم

ونترك الذكر أحيانا فننتكس

الذكر عنوان المفلحين وشعار الصالحين:

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) فكثرة الذكر علامة العقل ، وقلته علامة قلة العقل.

أيها الأخيار:

قد جعل اللهُ آية النفاق قلةُ الذكر (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا)

قال كعب من أكثر من ذكر الله برئ من النفاق ، فالذكر أمان من النفاق.

كان ابن سيرين إذا خرج إلى السوق ما رآه أحد إلا ذكر الله.

وكان يقول : ذكر الله دواء ، وذكر الناس داء.

قال الذهبي: فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟!!!

أيها الإخوة عوفيتم من كل بلاء:

فمن أحبَّ منكم الثمار اليانعة والعيشة الرغيدة فليبحث عن مجالس الذكر وليلزمها فإنها رياضُ الجنة. عند الترمذي عن أنس مرفوعاً (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا وما رياض الجنة. قال (حلق الذكر) بها يحت الإنسان ذنوبه كما تحت الشجرة ورقها،

ففي الحديث (ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفور لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات) أخرجه أحمد .

وهي أحبُّ المجالس إلى الله وإلى ملائكته:

ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد قال خرج معاويةُ على حلقةٍ في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله أقلَّ عنه حديثاً منِّي وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال (ما أجلسكم) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال (آلله ما أجلسكم إلا ذاك) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله تبارك يباهي بكم الملائكة)

فمجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين.

قال الحسن: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

أخي لا يفتر لسانك من ذكره فما طابت الدنيا إلا بذكره ، وما طابت الآخرة إلا بعفوه ، وما طابت الجنة إلا برؤيته.

وفي القلب خلة لا يسدها إلا الذِّكر.

وملأت كلي منك حتى لم أدع مني مكاناً خالياً لســـواكا
والقلب فيك هيامه وغرامـــه والروح لا تنفك عن ذكراكا

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه، أخرجه مسلم ، هكذا كان عملا بقول ربه (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) فقد كان أكثر الناس ذكراً ، وأحسنهم حالاً.

وهو الذي يقول (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) أخرجه مسلم .

هذا ورده كل يوم بكل صباح، ففي الحديث: (ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة) أخرجه الطبراني ، وتأمل هذا ، مع أنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

كان أبو هريرة : يسبح في كل يوم ثنتي عشرة ألف تسبيحة ، ويقول أسبح بقدر ديني.

فاليت شعري :كم أسبح أنا وأنت ؟

قيل لعمير بن هانئ: ما نرى لسانك يفتر أي عن الذكر فكم تسبِّحْ؟ فقال: مائة ألف تسبيحة إلا أن تخطئ الأصابع. وكان أحمد بن حرب إذا جلس أمام الحلاق ليحف شاربه يسبح فيقول الحلاق : اسكت ، فيقول لا بل اعمل عملك وأعمل عملي ، وربما قطع من شفته.

وكان خالد بن معدان : يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، وكان عامة كلام ابن سيرين سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده ، وكان لأبي الدرداء كيس من نوى يسبح بعدد ما فيه.

أخي الحبيب : لله درهم ، قلوبهم معمورة بذكر مولاهم ، إن نطقوا فبذكره ، وإن تحركوا

فبأمره ، ذكر الله فاكهتهم وقوتهم ، وذكر الناس داؤهم .

أوقاتهم بالذكر تطيب ، وألسنتهم بالذكر تجيب، فمتى نكون منهم ؟

تأمل : أبو بكر بن عياش يحضره الموت فيبكي ابنه فيقول : لا تبكي فقد ختمت القرآن في تلك الزاوية ١٨٠٠٠ .

فيا من يمضي عمره بالساعة والساعة ، يا كثير التفريط يا قليل البضاعة ، متى تفيق للزراعة وتلحق بالجماعة ؟

كان الإمام نافع المدني يشم منه رائحة المسك فسأل أتتطيب قال ما أمسَّ الطيب ، ولكن رأيت النبي ، وهو يقرأ في فمي ، فمن ذلك الوقت ، وأنا أشم من فمي هذه الرائحة.

٢/ الدعاء ، فالدعاء من أنفع الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، قال تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) وقال (وإذا سألك عبادب عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم مبينا فضل الدعاء وحاثا على لزومه (أفضل العبادة الدعاء) أخرجه الحاكم ، وقال صلى الله عليه وسلم (ليس شئ أكرم

على الله من الدعاء) أخرجه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم (أعجز الناس من عجز عن الدعاء) أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله حي كريم يستحي إذا مد عبده يديه إليه أن يردهما صفرا) أخرجه أبو داود ٠

وقال صلى الله عليه وسلم (من لم يسأل الله يغضب عليه) أخرجه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم (ما على الأرض مسلم يدعوا الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم) أخرجه الترمذي وغيره ٠

وقال صلى الله عليه وسلم (يستجاب لأحدكم مالم يستعجل يقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي) أخرجه الترمذي ٠

وفي ما يخص القلب كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله قلبا خاشعا ويستعيذ من قلب لا يخشع ، أخرجه الترمذي ٠

٣/ زيارة القبور :

القبور محلة الأموات ، وأفضل العظات، عن البراء بن عازب قال بينا نحن مع رسول الله إذ بصر بجماعة فقال علام اجتمع هؤلاء قيل على قبر يحفرونه قال ففزع رسول الله فبدى بين يدي أصحابه مسرعاً

حتى انتهى إلى القبر فجئ عليه قال فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم أقبل علينا وقال أي إخواني لمثل هذا فأعدوا) أخرجه أحمد .

وعن الحسن قال : يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهم قط ليلة تبت مع أهل القبور لم تبت ليلة مثلها، وليلة صحيتها يوم القيامة.

إني آتيك من حديثي والحديث له شجون
غيرت موضع مرقدي يوماً فنافرني السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى تكون

قال سفيان الثوري من أكثر ذكر القبر وجد روحه من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده من حفر النار.

روى الترمذي وابن ماجه عن هاني مولى عثمان قال كان عثمان إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال إن رسول الله قال (إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) قال وقال (ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه).

ولا بد لنا في صلاح قلوبنا

من وقفة مع من أصدق منبر للتذكير ، وكان أبلغ المذكرين ففي الحديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) أخرجه مسلم .

أيها الإخوة : كان من كان قبلكم أطول منكم أعماراً ، وأعمر ديارا ، وأبعد آثاراً ، أصبحت أصواتهم هامدة ، وديارهم راكدة ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، ثم استبدلوا بالقصور القبور ، التي محلها مقترب ، وساكنها مغترب ، متجاورون لا يتواصلون ، ومتقاربون ولا يتزاورون.

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أقام القوم أياماً وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم وأي منازل نزلوا
فقالت في القبور ثووا رهاناً بالذي فعلوا

أخي المبارك : تذكر من ثوى في قبره رهيناً ، وفي لحده وحيداً ، روحه مرتهنة ، لا تستزيد عملاً ولا تستعب من شئ. ما أعظم غفلتنا، كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب.

أيا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

تذكر أخي : الغافل السادر في لذاته حين حل بالقبر ، فياالله كيف عاش في هفوته يسيراً ؟ ومات في غفلته غريراً ، وجاءه الغائب المنتظر ، وأخذه العزيز المقتدر ، بين أخ شقيق ، ووالدشفيق ، فهوفي أنة موجعة وجذبة مكربة ، وسوقة متعبة ، فلا والله ما نفع المتوجع ، ولا أفاد المشبع وإذا هو بالسؤال والأهوال فيا عثرة الامتحان.

قال عبد الله بن الميزار: لابن آدم بيتان بيت على ظهر الأرض وبيت في بطن الأرض فعمد إلى الذي على الأرض فزخرفه وزينه وجعل فيه أبواباً للشمال وأبواباً للجنوب وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فخربه مع أنه يقيم في بطنها أضعاف ما يقيم على ظهرها.

قال مسروق: ما من بيت خير للمؤمن من لحده قد استراح من هموم الدنيا أو من عذاب الله. ومر بعضهم بقبر فقال نعم مقيل المؤمن هذا.

رأى أعرابي جنازة فقال هنيئاً هنيئاً يا صاحبها فقيل علام تهنئه قال كيف لا أهنئ من يذهب به إلى حسن الجوار كريم نزله عظيم عفوه.

غاب الحسن فقيل أين كنت، فقال كنت

عند إخوان لي إن نسيت ذكروني وإن غبت عنهم لم يغيبوني فقال له أصحابه نعم الإخوان دلنا عليهم قال أهل القبور.

عن أبي هريرة قال مر النبي على قبر دفن حديثاً فقال (ركعتان خفيفتان مما تحقرون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم) الطبراني بسند حسن

غاية أمنية الموتى في قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من ثواب وعمل صالح ٠

فتذكر : من سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق حشمه وعبيده ، وتفرق عنه الأنصار ، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

أين مجالسه العافية ؟ أين عيشته الصافية ؟ أين لذاته الخالية؟ كم تسفي على قبره من سافية.

ذهبت العين واختفت الآثار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

تقطعت به الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد إلى النار باب ، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

يود أن صافي لذاته ما صفا ، وعلى أنه كان يبني على شفا ، يبكي ما زل وهفا. يبكي من عمله

بدم العين ، ويقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ، والعمل ثاني اثنين.

٤/ النظر في سير الصالحين :

قال تعالى (فبهداهم اقتده) وقال (لقد مكان في قصصهم عيرة لأولي الألباب)

وقال أبو حنيفة : سير الصالحين أحب إلينا من كثير من الفقه ٠

فكم لذلك من أثر في القلب والعمل ، قال ابن الجوزي : رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين

وتأمل هذا المشهد يقول جعفر بن سليمان : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت إلى محمد بن واسع فنظرت إلى وجهه كأنه ثكلى فأعمل على هذه النظرة أسبوعا ثم أعود إليه ٠

فإن لم يجد زمانك بامثال هولاء ولم تستطع الوصول إليهم فعليك ببطون الكتب قيل لابن المبارك : ألا تجلس تحدثنا ؟ فقال أنا أذهب لأجلس مع الصحابة والتابعين ، فقيل وأنى لك بهم وقد ماتوا ، فقال : أقرأ في سيرهم حتى كأني اجلس معهم ٠

فائدة نفيسة : هذه بعض الأدوية النافعة لأدواء القلوب ، والأمر يحتاج إلى مجاهدة وصبر ؛ لأن عدو الله إبليس لما علم أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بخيله ورجله من وساوس وخطرات ، وأقبل عليه بوجوه الشهوات ، ونصب له المصايد والحبائل ، ولا نجاة من ذلك كله إلا بالاستعانة بالله ، والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه في حركاته وسكناته ؛ ليدخل في جملة من قال الله عنهم (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)

ولابد من داوم النظر في القلب ومحاسبته على الخطرات والنيات ، قال أبو حفص النيسابوري : حرست قلبي عشرين سنة ثم حرسني عشرين سنة .

ويالله كم من عليل قلبه وقد أوشك على الموت وهو عن ذلك غافل ؟!!!!!

أخطار تهدد قلوبنا :

من أعظم الأمور التي تحفظ على القلب حياته ونوره إبعاده عما يفسده ويمرضه ، ومفسدات القلوب كثيرة ومنها :

١/ الشرك الأكبر ، والذنب الذي لا يغفر ، وهو مما لا يرجى للقلب معه صلاحا البتة ، فمن

تعلق قلبه بغير الله ، إرادة أو محبة أو ذلا أو تعظيما فصرف عبادة القلب أو القالب لغير من يستحقها ، وهو الله وحده ، هلك هلاكا لا يفلح حتى يتبرأ من ذلك ويصرف عبادته لله قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وما ساوى الشرك من الأعمال التي تخرج من الملة مثله في أفساد القلب وظلمته كما قال تعالى (أو كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) فالخسارة بالغة قال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)

٢/ شغل القلب بغير الله كالإيغال في حب الدنيا مع طول الأمل ، ومن ذلك التماس معايب الناس وكراهيتهم ، وإرادة الانتقام وملء القلب بالغل والحقد والحسد ، كما قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) فأنى لصاحب هذا القلب أن يأنس بالله ويقبل عليه مع كل هذه الأمراض والعوائق كما قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)

ومن الأمراض الفتاكة الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة وتلك بضاعة المفاليس ، فما الدنيا في الحقيقة إلا أضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام نعيمها ممزوج بالغصص مشوب بالنغص ، إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا ، وإن سرت يوما أحزنت شهورا ، كلما حلت أوحلت ، وكلما كست أوكست ، وكلما أينعت نعت ، آلاماها أضعاف أضعاف مسراتها ، فواعجبا ممن آثر الحظ الفاني الخسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بشهوة ساعة ، ثم يعقبها من الحسرة والألم أضعاف ما وجد فيها من اللذة ٠

٣/ الذنوب والمعاصي :

ويالله كم لها من أثر على القلب ؟!فهي سر مرضه وبليته ، وتأثير الذنوب على القلوب كتأثير السموم على الجسوم ، فالقلب بالذنب أسير الشيطان ، ولو لم يكن في الذنب إلا أن يبعد عن الله لكفى ٠

من كل شئ إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

فتعال يا رعاك الله لنكتب قصد الرجوع ، بقلم الندم والدموع ، ولنسع بقدم الخضوع ،

في طريق الخشوع ، تعال لنشعل قناديل الهداية ، في ظلمات الغواية ، فالحياة بدون الله سراب ، وبلا قرآن أرض يباب ، وقصور خراب.

وهل هناك أحبابي أشقى من أسير أسره أعدى عدو له ؟ وسجنه في أضيق سجن ، ألا وإن سجن الهوى والشهوة ، أضيق سجن ، قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ويموت وفي الأثر (ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي ، وإني أشد شوقاً لهم ، ألا من طلبني وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، من ذا الذي أقبل علي وما قبلته من ذا الذي سألني وما أعطيته، من ذا الذي طرق بابي وما فتحته، من ذا الذي توكل علي وما كفيته من ذا الذي دعاني و ما أجبته. أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أقنطهم أبدا من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب .من أقبل علي تقبلته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي

ألنت له الحديد ، ومن صفا معي صافيته، ومن أوي إلي آويته ، ومن فوض امري إلي كفيته، ومن باع نفسه مني اشتريته ، وجعلت الثمن جنتي ورضاي ، وعد صادق ، وعهد سابق ، (ومن أوفى بعهده من الله).

أخي الغالي : لقد أهلكتنا غلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان واستبطاء الوعد وطول الأمل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التأويل وألف العوائد.

فأضعنا أمره وتجاوزنا نهيه وفرطنا في حقه وعصينا كثيراً

أما آن لما أنت فيه متاب وهل لك من بعد الغياب إياب

تقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترجوه وهو سراب

شؤم الخطيئة وعاقبة المعصية سبب كل بلاء كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ومصيبة قلبك من أثر خطيئتك ، و هو أول من يتأثر .

والله ما فسدت القلوب ، ولا أظلمت ، ولا قست إلا بسبب الذنوب، فهي التي تمرض القلوب، وتشل حركتها ، قال ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب

وقد يورث الذل

إدمانـــها

وترك الذنوب حياة القلوب

وخير لنفسك عصيانها

ومن أثر الذنب على القلب أنه يطفئ نور العلم فالعلم نور ، والمعصية ظلمة ، ولذا فهي تحجب عنه موارد الهداية وتعميه عن الحق ، كما قال تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) قال مالك للشافعي يا هذا إني أرى الله قد ألقى عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية ٠

والذنوب سبب من أكبر أسباب نسيان العلم ، قال أحدهم:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني أن العلم نـــــــور ونور الله لا يؤتاه عاصـــي

هل هناك ذنب بلا أثر ، وخطيئة بلا مردود ؟ المتأمل يجد أن البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ٠

يا صاحب الذنب لا تأمن عواقبه

عواقب الذنب تخشى وهي تنتظر

فكل نفس ستجزى بالذي كسبت

وليس للخلق من ديـانـــــهم وزر

ومن شؤم المعصية أنها تورث الوحشة بين العبد وبين ربه ، فلا تراه نشيطاً في طاعة الله ولا

متلذذاً بذكره.

المعصية سبب الذل والهوان في الدنيا والآخرة ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه وفي الحديث: (وجعل الذل والصغار على من خالف أمري)

قال الحسن : هم وإن طققطت بهم الجمال ، وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية في رقابهم .

نور حياتك بالهدى ... واسلك سبيل التائبين
واعمر فؤادك بالتقى ... فالعمر محدود السنين
وارضِ الإله بطاعة ... يسعدك في دنيا ودين
واحمل بصدرك مصحفاً ... يشرح فؤادك كل حين
ودع الغواية إنها ... شقاء كل الغافلين
الدين مشكاة الحياة ... يضئ درب الحائرين
عد للكريم بتوبة ... واركب درب العائدين
تلق السعادة كلها ... فلنعم درب الصالحين

فصل في أبواب المعاصي :

ابن القيم يصف الداء والدواء:

قال ابن القيم - رحمه الله: وأكثر ما يدخل المعاصي على العبد أربعة أبواب وهي: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخُطُوات، فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل العدو فيجوس خلال الديار وُيَتّبر ما علا تتبيرا.

١/ رأس الشهوات!: فأما اللحظات: فهي رائدة الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج،فمن أطلق بصره أورده موارد الهلكات، ولما كان مبدأ ذلك من النظر جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج.

وقال بعضهم :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وكم نظر فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والعبد ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد

موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

أصل عامة الحوادث: والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع.

من آفات النظر: ومن آفات النظر أنه يورث الحسرات، والزفرات، والحرقات فيرى العبد ما ليس قادراً عليه، ولا صابراً عنه، ولا قدرة له عليه. وكم ممن أرسل لحظاته فما أقلعت إلاّ وهو يتشحط بينهن قتيلا. ومن العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه، حتى يتبوأ مكانا من قلب الناظر، والأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحاً، فتتبعها جرحاً على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراح من استدعاء تكرارها، وقد قيل: حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات.

٢/ الخطرات أصل الخير والشر: شأنها أصعب، فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام

نفسه، وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهراً إلى الهلكات، ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير آثاراً باطلة (كَسَرَاب بقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لم يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنَدهُ فَوَفّاه حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

من أضاع وقته، ضاع عمره!: واعلم يا أخي أن الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، فلا تشغل قلبك وجوارحك بما لا تملك من أمر دينك وآخرتك، وعليك بالفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه، فالعارف ابن وقته فإن أضاعة ضاعت مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبداً.

٣/ اللفظات: فحفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة، بل لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها فائدة وربح أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر، هل تفوتة بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه، وإذا أردت أن تستدل على ما في القلوب فاستدل عليه، بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء

صاحبه أم أبى ، فاللسان يكشف عما في القلب! :

قال يحيى بن معاذ: « القلوب كالقدور تغلي بما فيها وألسنتها مغارفها فانظر إلى الرجل متى تكلم فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من حلو وحامض، وعذب وأجاج وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه « .

والاهتمام باللسان مدخل الاستقامة ، وفي حديث أنس المرفوع: « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه « .رواه أحمد ٠

وإهمال اللسان مفتاح دخول النار ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: « الفم والفرج « . أخرجه الترمذي ٠ وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالاً يرفعه الله درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم « . وفي جامع الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: « توفى رجل من الصحابة - رضي الله عنهم - فقال رجل: « أبشر بالجنة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أو لا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل

بما لا ينقصه « وقال: حديث حسن. وفي الصحيح: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت « متفق عليه · وفي الحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه « . أخرجه الترمذي وفي حديث: « كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله « . أخرجه الترمذي ·

قال: واختلف السلف - رضي الله عنهم - والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به؟ أو الخير والشر فقط؟ على قولين: أظهرهما الأول. وقال بعض السلف: « كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من ذكر الله تعالى وما والاه « .

خصال اللسان المحمودة:

واعلم أن في اللسان عشر خصال محمودة: دليل يظهر به البيان ، وشاهد بخير عن الضمير ، وحاكم يفصل الخطاب ، وواعظ ينهى عن القبيح ، وناطق يرد الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، ومعرب يشكر الله عز وجل. والإخوان ، وحامد يذهب الضغينة ، وموثق يلهي الأسماع.

٤/ الخطوات: فحفظها بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه عند الله، فإن لم يكن في

خطاه مزيد ثواب فالقعود خير له، ولما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرِّجل، وعثرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَاماً). فوصفهم الله بالاستقامة في لفظاتهم ، وخطواتهم، كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ).

٤/ فضول المباحات من طعام وشراب ونوم وخلطة فإنها تقسي القلب وتثقل الطاعات وتضيع الأوقات وتورث الغفلة وما قام الوجود إلا بالعدل فمن أخذ به أخذ بحظه من مجامع الخير ، والمطلوب من المباحات ما يغطي الحاجة وما لا يكون كذلك فأثره قد ينعكس سلبا على الإنسان وخاصة قلبه ٠

وفي ترك الفضول توفيق للحكمة: وقال بعض العارفين: « من ترك فضول الكلام وفق للحكمة، ومن ترك فضول الطعام وفق لحلاوة العبادة، ومن ترك الضحك وفق للهيبة، ومن ترك الرغبة وفق للجنة، ومن ترك التجسس وفق لإصلاح عيب نفسه، ومن ترك التوهم في كيفية أسماء الله وصفاته وفق للخشية وسلم من الشك والنفاق، ومن ترك الظن السيئ وفق للسلامة من سوء الاعتقاد في الخلق « . وقيل: النظر المباح يؤثر كما يؤثر غير

المباح .

٥/ عدم الانتفاع بالأعضاء واستغلالها في مجالها الصحيح :

اعلم هداك الله إلى طاعته : أن لأعضائك وظائف وآداباً تتعلق بها ، فالاستعانة بنعم الله على معاصيه غاية الكفران ، ولكن ما علاقة هذا بما نحن بصدده وهو القلب ؟ ! !!!

العلاقة هي أن العاصي في الحقيقة هو القلب ؛ لأنه يدفع الجوارح إلى مباشرة المعصية ، ولذا كان من أعظم أنواع العذاب يوم القيامة العذاب المنصب على القلب مباشرة كما قال تعالى (نار الله الموقدة التي تتطلع على الأفئدة)

المعاصي لا تفعل إلا بالجوارح وهي نعمة من الله تعالى عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله تعالى على معاصيه غاية الكفران، وخيانة في أمانة أودعك الله إياها غاية الطغيان، وأعضاؤك رعاياك، فانظر كيف ترعاها ففي الحديث: « كلكم راع وكل مسئول عن رعيته « متفق عليه .

واعلم أن جميع أعضاؤك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق تفضحك به على رءوس الخلائق قال الله تعالى: (الْيَوْمَ

نَخْتمُ عَلَى أَفْوَاههمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْديهمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسبُونَ). وقال: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). فاحفظ جميع بدنك خصوصاً أعمال أعضائك السبعة، العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، وتذكر أن جهنم لها سبعة أبواب، لكل باب منها جزءٌ مقسوم.

آداب كل جارحة منها:

فآداب البصر أن ينظر إلى إخوانه نظر مودة ومحبة، يعرفها منك ومن حضر المجلس، ويكون نظرة إلى محاسنه، وإلى أحسن شيء يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره في وقت إقباله عليه، وإن يغض بصره عن ما حرم الله كالنظر المحرم إلى النساء والمردان فإنه من أعظم البلايا

ويغضه عن زخارف الدنيا، ، والأشياء التي تتطلع النفس إلى طلب مثلها، قال الله تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

وليعلم الإنسان أن البصر ينبغي أن يغض عن النظر عما يشغل القلب ؛ ليكون مفتوحاً لما يصدر عنه من الفكر والذكر.

وآداب السمع: أن يسمع إلى كتاب الله

وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى العلم النافع والحديث المباح وإذا تكلم غيره بحديث أقبل عليه يسمعه مشتهٍ لما يسمع ، متلذذ به، ولا يصرف بصره عنه، ولا يقطع حديثه بسبب من الأسباب ، فإن اضطر إلى شيء من ذلك أَشْعَرْه بحسن أدب، وأظهر له عذره ، ويحذر من سماع آلات الملاهي والموسيقى والغنا والبدع، والكلام المحرم كالغيبة، والفُحْش والخوض في باطل، وسماع مساوئ الناس وعيوبهم أو غير ذلك ، وسماع كلام الأجنبيات إلا لحاجة، فإن خلقاً من العباد فتنوا بالكلام كما افتتن غيرهم بالنظر.

وآداب اللسان:

أن يتكلم المرء بذكر الله والعلم النافع والكلام المباح وإذا عزم على محادثة الآخرين فيكلمهم بما يحبونه، ويبذل لهم النصيحة، ويدلهم على ما فيه صلاحهم، ويترك من الحديث ما يعلم أنهم يكرنهم من حديث، أو لفظ، أو غير ذلك، ولا يرفع عليهم الصوت ، ولا يخاطبهم إلا بمقدار فهمهم وعلمهم، ويصون لسانه عن الغيبة والنميمة، والشر، والفحش، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، والكذب وقول الزور، وإفشاء السر، والمدح بالباطل، وكلام ذي اللسانين.

وليعلم أن استقامة الإيمان قرنت باستقامة

اللسان !: ولما كثرت آفات اللسان قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه « . وقال صلى الله عليه وسلم: « وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم « . أخرجه الترمذي ·

ومن تكفل بلسانه تكفل الله له بالجنة: ففي الحديث: « من ضمن لي بما بين لحييه وبين رجليه، ضمنت له بالجنة « أخرجه الترمذي . وقال سفيان بن عبد الله الثقفي: « يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علىَّ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا « . وفي الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب « .

وليحذر من اللعن ففي الحديث: « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء « ، أخرجه أحمد وفيه: « إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً، رجعت إلى الذي لعن، فإذا كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت على قائلها « . أخرجه أبو داود ·

وفي حديث بلال بن الحارث رضي الله

عنه أنه قال: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله - عز وجل - ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله - عز وجل - بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله - عز وجل - ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عز وجل بها عليه سخطه إلى يوم القيامة « أخرجه الترمذي .

كان علقمة - رحمة الله تعالى - يقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه « . وقال شميط بن عجلان: « يابن آدم إنك ما دمت ساكتاً فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك « .

ومما يجب حفظ اللسان عنه، الفخر بالآباء، وخصوصاً بآباء الجاهلية والتعظيم بهم، وذلك لا يحل لقوله تعالى: (يأيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلْقنَاكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ).

ويختص باليدين ترك البطش بهما فيما لا يحل، واللمس لما لا يجوز، والتطفيف في الكيل والوزن، وليعلم أن الرجل تنافق يده من بين سائر جسده ، فالواجب حفظهما أن تقرب مسلما، أو تتناول بهما حراما، أو تؤذي أحداً، أو تخون أمانة، أو تكتب ما لا

يجوز، فإن القلم أحد اللسانين ، ويختص البطن ترك تناول الحرام، والزنا، وأكل مال اليتيم، والمغصوب، والمسروق ، ونحو ذلك .

نماذج رائعة من حياة السلف وكلامهم :

قال عبد الله بن عباس : إن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ٠

وعن أبي الدرداء أعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم في الموتى واعلموا أن قليل يكفيكم خير من كثير يلهيكم ، واعلموا أن البر لا يبلى وأن الإثم لا ينسى ٠

قال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها أعملني أيضا ، فاذا عملها قالت الثانية كذلك ، وهلم جرا ، فيتضاعف الربح وتزايدت الحسنات ، وكذلك كانت السيئات أيضا حتي تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة ٠

روى عبد الله بن محمد البلوي قال: كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العباد والزهاد

فقال لي عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية عليه « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك. قال: ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة، فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره، فالتفت إلي فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: نعم، تعلمني مما علمك الله شيئاً، فقال لي اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه مما يراه من ثواب الله تعالى غداً، أفلا أزيدك؟ قلت: نعم. قال من

كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى،، وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قلت بلى، فقال: كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى، فسألت: من هذا؟ فقالوا: هو الشافعي ٠

قال يحيى بن معاذ : عجبت من ثلاث ، رجل يرائي بعمله مخلوقا مثله ، ويترك أن يعمله لله ، ورجل يبخل بماله ، وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئا ، ورجل يرغب فى صحبة المخلوقين ومودتهم ، والله يدعوه إلى صحبته ومودته ٠

وقال سهل بن عبد الله : ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهى ؛ لأن آدم نهى عن أكل الشجرة ، فأكل منها فتاب عليه وإبليس أمر أن يسجد لآدم ، فلم يسجد فلم يتب عليه٠

قال بعض السلف : آدم أخرج من الجنة بذنب واحد ، وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون وتريدون دخول الجنة كما قيل :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك

الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واحد

وسوف نتابع الحديث بمشيئة الله عن أعمال القلوب والعبادات القلبية كالإخلاص والتوكل والحب والخوف والرجا في سلسلة من الرسائل المستقلة ، تخرج تباعا ، والله نسأل الإعانة والتسديد والتوفيق لما يحب ويرضى وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين ٠